مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

سلطة الكتابة الشعرية بوصفها أفقا للتأويل
ديوان" روض الزيتون" نموذجا

L'autorité de l'écriture poétique comme horizon d'interprétation, recueil de « Rod al-Zaytoun »comme exemple

إعداد
أحمد طايعي
أستاذ التعليم العالي مؤهل
جامعة مولاي إسماعيل
الكلية متعددة التخصصات بالرشيدية (المغرب)
Dr. Tayi Ahmed
Professor of Arabic poetry and contemporary critical approaches
University of Moulay Ismail, Meknes
The polydisciplinary Faculty of Errachidia (Morocco)
البريد الإلكتروني
tayi_ahmed@yahoo.fr

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص:

كثيرة هي الأبحاث والدراسات، التي انتدبت نفسها لفهم وتأويل الطاقة الجمالية الكامنة في أشعار" روض الزيتون" للشاعر المغربي محمد بن إبراهيم. وقد كان للناقد أحمد اليبوري تفسيح النظر النقدي في هذه الأشعار، وبالنتيجة بناء آفاق جمالية لها. لكن بناء تأويله على قاعدة حمل المعطيات التصورية والتخييلية في الكتابة الشعرية عند الشاعر، على وجودها التاريخي والاجتماعي والنفسي، دفعنا، في هذه الدراسة، إلى الاعتقاد بأن اكتشاف أو تحديد العناصر التكوينية لنصوص الشاعر، لا يتم إلا من خلال معطيات خارج نصية؛ هاته التي تمثل قصدية القول الشعري.

لأجل ذلك نفترض أن مشاركة أحمد اليابوري، نصوصَ الشاعر ابن ابراهيم خلفيتَها المرجعية، لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال التفاعل المنفتح مع زمن الأحداث الشعرية، بكل مكوناتها اللغوية والتركيبية والدلالية.

الكلمات المفتاحية: السلطة، الكتابة، الشعر، التأويل.

Résumé :

De nombreuses recherches et études se sont consacrées à la compréhension et à l'interprétation de l'énergie esthétique inhérente aux poèmes de « Roud al-Zaytoun » du poète marocain Muhammad bin Ibrahim. Le critique Ahmed Al-Yibouri a eu la possibilité d'élargir la considération critique de ces poèmes et, par conséquent, de leur construire des horizons esthétiques. Cependant, fonder son interprétation sur la base de l'assimilation des données conceptuelles et imaginatives de l'écriture poétique du poète à leur existence historique, sociale et psychologique, nous a amené, dans cette étude, à croire que découvrir ou identifier les éléments formateurs des textes du poète est uniquement possible grâce à des données extra-textuelles. Cela représente l'intention de la déclaration poétique.

Pour cette raison, nous supposons que la participation d'Ahmed Al-Yaburi aux textes du poète Ibn Ibrahim comme fond de référence ne peut être obtenue qu'à travers une interaction ouverte avec le temps des événements poétiques, avec toutes leurs composantes linguistiques, syntaxiques et sémantiques.

Mots-clés : pouvoir, écriture, poésie, interprétation.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

1. المقدمة:

يستطيع الدارس المهتم أن يؤكد، بما لا يدع مجالا للشك، أن فهما موسعا لحضور مكون" السلطة" في النصوص الشعرية، يستلزم، من ناحية، فهما أعمق للعلاقة التفاعلية القائمة، بين سلطتين: الأولى متعلقة بالباث الأصلي للرسالة الشعرية، والثانية مرتبطة بالمتلقي. كما يقترض، من ناحية ثانية، إدراكا شديدا للمرجعيات التأسيسية؛ التي تنبني بإزائها التصورات الجمالية لظاهرة تماثل سلطة النصوص الشعرية مع غيرها من النصوص الأدبية وغير الأدبية.

أهداف البحث وأهميته :

يتقصد البحث بيان جهاز القراءة عند أحمد اليبوري، من خلال ضبط وتعيين شروط بناء معاني النصوص الشعرية، وحصر مرجعيتها التأسيسية في نماذج من قصائد ديوان" روض الزيتون" للشاعر المغربي، محمد بن إبراهيم المراكشي. كما تكمن أهمته في إثارة الانتباه إلى مسألة تلقي النص الشعري المغربي، وذلك بما تنهض عليه من موجهات تصورية ونقدية لدى متلق متمرس في مجال الكتابة الروائية.

منهج البحث:

بخصوص الكفاية المنهجية، سيتم التركيز على المفاهيم النظرية، والآليات التحليلية القائمة في المنجز النقدي العربي القديم، وكذا في إنجازات الفكر النقدي الأدبي المعاصر؛ ممثلة في نظرية التلقي؛ الخاص بمدرسة كونسطانس الألمانية، ثم اجتهادات كل من جيرار جينيت، وبيير زيما.

إشكالية البحث:

- ترتبط إشكالية البحث بكيفية تموضع المعطيات الخارج نصية ذاتها، داخل أفق التجربة الشعرية؟
- وهل قراءة اليبوري المنتِجة، هي في حسبان نسق النص الشعري لمحمد بن إبراهيم، بما يتفاعل معه في الواقع المعيش المغربي والدولي بعامة. وبعبارة أخرى: هل هي إقرار ضمني بوهم " المصالحة" في مجال التأويل الشعري، بين أفق لغة الأحداث التاريخية والسياسية التي عايشها المغرب، وبين أفق اللغة الشعرية التي تؤسس للمغايرة التأويلية؟

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الدراسات السابقة:

من بين الدراسات التجميعية والتوصيفية التحليلية لشعر الشاعر المغربي، محمد بن إبراهيم المراكشي، نذكر:

– ديوان شاعر الحمراء، محمد بن إبراهيم المراكشي" روض الزيتون"، ضبط وتنسق وتعليق أحمد شوقي بنبين، منشورات الخزانة الحسنية بالرباط، الطبعة الثانية، 2002؛

– عالم شاعر الحمراء، لعبد الكريم غلاب، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982؛

– شاعر الحمراء في الغربال، لأحمد الشرقاوي إقبال، مطبعة الجامعة،الدار البيضاء؛

– مختارات من ديوان شاعر الحمراء، لأحمد المريني والطيب المريني دنيا، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، 1971.

– شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر، لأحمد خلاصة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987؛

– شاعر الحمراء بين المألوف واليومي، لقاسم الحسيني، منشورا سامبير، الرباط.

2. عتبة نحو التفاعلات النصية:

هذا، ولما كانت هذه الورقة العلمية تختص بناقد مغربي مؤسِّس، هو الأستاذ أحمد اليبوري(ازداد سنة 1935..)، فإننا سنتجه بفرضياتها، إلى بيان أبرز الآليات المعتمدة عنده، في ضبط شروط بناء معاني النصوص الشعرية– موضوع السلطة هنا– انطلاقا من" المعطيات الخارج نصيةExtra-textuelle" ؛ وهي مؤديات نعتقد أنها تجسد "سلطة توجيهية " في إنتاج المحتويات الدلالية التي تقررها تلك النصوص[1].

أما بخصوص الكفاية المنهجية، سيتم التركيز على المفاهيم النظرية، والآليات التحليلية القائمة في المنجز النقدي العربي القديم، وكذا في إنجازات الفكر النقدي المعاصر؛ ممثلة في نظرية التلقي الألمانية، واجتهادات كل من جيرار جينيت، وبيير زيما.

[1] –انظر التخييلي والخيالي من منظور الأنطربولوجية الأدبية– فولفغانج إيزر، ترجمة حميد لحميداني والجيلالي الكدية، ط النجاح الجديدة، الدار البضاء، ط 1، 1998، ص: 27.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لقد أشرنا في دراسة سابقة لنا[1]، إلى أن التفاعلات النصية، هي في كثير من تمظهراتها، بلا صفة يُنْتهى إليها في أصل تكون الكتابة الشعرية، ولا علم ثابت يوقف عليه عند المتلقي المؤول. من هنا نعتقد، أن الذي يفسح النظر النقدي إلى المنهجية التي تسلكها " تحققات" المعاني الشعرية لدى القارئ أحمد اليبوري ، لن يتردد في أن يربطها بتصوره النقدي لمفهوم الشعر – هذا الذي ينبني ويتأسس على هجرة النصوص الشعرية وتفاعلها مع نصوص الكون. يقول أحمد اليبوري:" لا شك أن التفاعل النصي باب أساس في هذا البحث، فهو يكشف للقارئ إمكانيات وحدود شاعر الحمراء في مجال الإبداع الشعري، بجميع مستوياته وأغراضه"[2].

في هذا الإطار، نشير إلى أن المجال الواسع الذي يتسع له تأويل أحمد اليبوري ، لأشكال تفاعل نصوص الكتابة الشعرية، بغيرها من النصوص التاريخية والاجتماعية والسياسية، يجعل منه متلقيا مُبَنْيَنًا (Structuré[3])، بصورة ضمنية، في مجموع قصائد ديوان" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، محمد بن إبراهيم المراكشي الهواري(ت. 1955)[4]،

[1] – الشعر العربي مجاري التلقي ومستقرات التأويل– أحمد طايعي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2022.

[2] " في شعرية ديوان" روض الزيتون" لشاعر الحمراء"،أحمد اليبوري، دار الثقافة، الدار البيضاء،ط1–2021،ص: 8.

[3]– انظر، القارئ المفترض: إبراهيم الخطيب، مجلة آفاق– عدد6، 1987،ص: 15.

[4] – اعتمد القارئ أحمد اليبوري، ديوان الشاعر محمد بن ابراهيم في طبعتيه؛ الأولى صدرت سنة 2000، والثانية صدرت سنة 2002، ضبط وتنسيق الدكتور، أحمد شوقي بنبين، منشورات الخزانة الحسنية بالرباط.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

حيث ساهم في إنتاج معانيها، وأبان عن منطلقاتها التأسيسية؛ كما هو صنيعه في تأويله لبعض قصائد ديوان الفروسية للشاعر المغربي أحمد المجاطي.[1]

ضمن هذا المساق في الفهم ، يبدو الاعتقاد بأن اشتغال مستوى من مستويات التناص في قراءة أحمد اليبوري الشعرية، إنما يحقق إنجازا، بالاعتماد على القاعدة التوجيهية للتآخذ القائم، بين: الشعري والمعطيات الخارج نصية، التاريخية والسياسية والسوسيو ثقافية، هاته التي ترتبط بفرضية تثير جدلا فيما إذا كانت السلطة هي سلطة النص الشعري أم سلطة القراءة الشعرية؟.

لقد اتفقت آراء النقاد المغاربة وغير المغاربة– على اختلاف توجهاتهم النقدية ومشاربهم المنهجية، على أن أحمد اليبوري، سليل بيت معرق في الممارسة النقدية السردية والشعرية على حد سواء[2]. حباه الله نعمة بصيرة ناقدة، فكان بقوة الذخيرة المعرفية، وصلابة المنهج والعمق في الاستقصاء النظري والإجرائي، آية في إدراك المسؤولية العلمية

[1] –انظر على سبيل التمثيل، (في الشعر المغربي المعاصر) أحمد اليبوري، دار توبقال للنشر– البيضاء، ط/1– 2003، ص: 15. في هذا المقام، أشار أحمد اليبوري، في التكريم الذي أقيم له– وقد تشرفت بحضوره– بالمعرض الدولي للكتاب بالرباط(الجمعة 10 نونبر 2022 على الساعة الرابعة والنصف مساء)، إلى أن نيته كانت آكد في إنجاز دراسة شاملة حول التجربة الشعرية للشاعر أحمد المجاطي، ولكن حالت دون ذلك أحوال.

[2] – يقول عبد الجليل ناظم عن أستاذه أحمد اليبوري:" كان الأستاذ اليبوري يختلف عن الصنفين، إنه لا يمت بصلة لا لصنف المغاربة التقليديين، ولا لصنف المشارقة، لقد اكتشفت لأول مرة أن الأدب درس له موضوع، بل وله خطة ومنهج. في هذا الدرس فتح لنا نحن التلاميذ الضائعين..بابا للاكتشاف والمعرفة، درسنا من خلاله(أي الأستاذ اليبوري) أشعار البحتري والمتنبي، ومعارضات البارودي وشوقي.. بعض مضي سنوات عديدة، استفسرت الأستاذ اليبوري عن سر تحوله من دراسة الشعر إلى دراسة السرد، فأجابني، لكنه لم يعرف سر السؤال الذي وضعته له، والكامن في صورته الأولى.." (تحولات النقد الأدبي المعاصر بالمغرب، أعمال مهداة إلى أحمد اليبوري)، تنسيق سعيد يقطين، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2009– ص:242.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الجادة في القول النقدي[1]، اقتصادا، وأناة، واحتراسا[2]. وهو إلى جانب هذا، احتفى، هو نفسه، بحيوات متجددة؛ فكان مدرسا، وصحفيا، وأستاذا جامعيا، ونائب للعميد في زمان شديد الحساسية، ورئيسا لاتحاد كتاب المغرب..، أتحف المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات العلمية؛ نذكر منها، على سبيل التمثيل: تطور القصة في المغرب: مرحلة التأسيس(1967)[3]، وديناميةالنص الروائي (1993)، وفي الرواية العربية: التكون والاشتغال(2000)، والكتابة الروائية في المغرب البنية والدلالة(2006)، وأسئلة المنهج، حول رسائل وأطروحات جامعية (2009)، وذاكرة مستعادة عبر أصوات ومنظورات(2014)، وفي شعرية ديوان" روض الزيتون" لشاعر الحمراء(2021).

3. التفاعلات النصية، بين سلطة الكتابة الشعرية وسلطة المعطيات الخارج نصية، لدى أحمد اليبوري.

ثمة استفسارات عديدة تثار،هنا، بشأن التفاعلات النصية، بين سلطة الكتابة الشعرية وسلطة المعطيات الخارج نصية، لدى أحمد اليبوري، يمكن صياغتها كالآتي: كيف تموضع المعطيات الخارج نصية ذاتها– باعتبار السلطة التي تتمتع بها– داخل أفق التجربة الشعرية؟ وهل القراءة اليبورية المنتِجة، هي في حسبان نسق النص الشعري لمحمد بن إبراهيم، بما يتفاعل معه في الواقع المعيش المغربي والدولي بعامة؛ أي بما يحقق أفقا للمماثلة المنعكسة[4]، بين المجال

[1] كثيرة هي الكتابات المغربية والعربية، المنشورة ورقيا، وعبر الشبكة العنكبوتية، التي تناولت المشروع النقدي السردي، للأستاذ الناقد احمد اليبوري(انظر، في هذا الشأن، موقع الدكتور يحي عمارة، وكتاب (تحولات النقد الأدبي المعاصر بالمغرب، أعمال مهداة إلى أحمد اليبوري)، تنسيق سعيد يقطين، منشورات كلية الآداب بالرباط.

[2] نفسه، ص: 134.

[3] هذا من العناوين التأسيسية في سياق الحديث عن فن القصة بالمغرب (1914–1966)، طبع سنة 2005.

[4] – القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، احمد طايعي، منشورات زاوية– ط1– 2007، الرباط،ص: 199 وص 263.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المعرفي، والمجال التصوري لأشعار شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم؟. ثم هل المراهنة– مع أحمد اليبوري– على آلية التناص، هو إقرار مسبق بتأويل وقع عنده في وهم المصالحة، بين أفق لغة الأحداث التاريخية والسياسية التي عايشها المغرب، وبين أفق اللغة الشعرية التي تؤسس للمغايرة التأويلية[1] ؟

إن مثل هذه الاستفسارات وشبهها كثير، نفترض الإجابة عنها وفق نصوص تمثيلية مجتزأة من قراءة اليبوري لديوان محمد بن إبراهيم، الذي وسمه ب(في شعرية" روض الزيتون")[2]:

4. النماذج التمثيلية:

قال أحمد اليبوري:" من الملاحظ أن الشاعر محمد بن إبراهيم أبدى اهتماما كبيرا، بالحرب العالمية الثانية في شعره، باعتبارها حدثا هزّ أركان العالم، ولاسيما أروبا، وكان المغرب من الدول التي شاركت فيها، بعد إعلان الملك محمد الخامس مؤازرته للحلفاء، ولفرنسا خاصة، ضد دول المحور في رسالته بتاريخ 1939.

وقد تطرق الشاعر إلى هذا الموضوع في قصائد عدة، منها:

- النشيد الوطني الحربي، ص.116، ط.1، 1939، 40 بيتا.
- كما قُلتم، ص.296، ط.1، 1939، 54 بيتا.
- عظّم الله في انتصارك أجرا، ص.202،ط.1، 1942، 23 بيتا.

---

[1] –(Pour Une Esthétique de la Réception)– H. R. Jauss, Gallimard. Paris, 1978–, p. 5253 –

[2] – في شعرية ديوان" روض الزيتون" لشاعر الحمراء. أحمد اليبوري، دار الثقافة البيضاء، ط.1–2021، ص: 141.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- صيحة النصر،ص.200،ط.1، 1945، 29 بيتا.
- عيد الملك ملك الأعياد،ص.200،ط.1945،1، 40 بيتا.

وتم نظم هذه القصائد، خلال الحرب العالمية الثانية مواكِبة أهمّ التقلبات العسكرية والسياسية، مازجة ذلك بالإشادة بالملك محمد الخامس، رمز الوطنية المغربية...

وفي نص النشيد الوطني الحربي، ركز الشاعر على التنبؤ لهتلر بالهزيمة، عارضا على لسانه، فلسفته القائمة على التخريب والدمار:

المزايا في الـرّزايا هو ديني باعـتقاد

وإذا أفنى العـباد بعضهم بعضا وبادوا

وكسا الكون سواد فـهو سؤلي والمراد

... وأهم ما في هذا النشيد، تعداد المآسي التي خلفتها الجيوش الألمانية، لإبراز مدى فداحة وحشيتها:

رام تدمير شعوب رام إحراق قلوب

رام إضرام حروب رام تحريم رقاد

كم فتى يبكي أباه وأب يبكي فتاه

ويشيد، بعد ذلك، بالشعب المغربي وبمحمد الخامس، وبفرنسا، مبرزا دور (القُوم) في تحرير فرنسا وإيطاليا:

إنما المغرب شعب حفظه للعهد دأب

أيها(القُوم) الأسود في ثبات فلتزيدوا

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بنفوس فلتجودوا إنما المرء الجواد

ملك القطر المؤيد تاج نصر عنه يعقد

هو مولانا محمد هو سلطان البلاد[1]".

وقال أحمد اليبوري، في معرض قراءته لقصيدة (كما قلتم):" خصص ابن إبراهيم هذه القصيدة من أربعة وخمسين بيت، من بحر الطويل، لاحتلال بولونيا من طرف ألمانيا سنة 1939، وإعلان فرنسا وإنجلترا الحرب العالمية الثانية عليها.

ذكر الشاعر في القسم الأول من القصيدة أن الهجوم على بولونيا، البلد المسالم، يدخل في باب الإجرام، والشر والغرور:

كما قلتم لن يرتضي السلم مجرم ولا حكم إذ أن الحسام المحكّم

(..)

في القسم الثاني أعلن تضامنه مع شعب بولونيا الشهيد مشيدا بشجاعته وصبره في مواجهة أهوال الاحتلال الألماني:

أيا شعب بولونيا الشهيد ومن بنى لمجده صرحا شامخا ليس يهدم

(..) وفي نفس السياق أشاد بفرنسا وحليفتها أنجلترا، وبالدولة العثمانية، للمساعدات التي قدموها لبولونيا..

وأوفت فرنسا والحليفة أختها بعهد وعهد الحر دين محتم

[1] – في شعرية" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، ص141-143.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أمام شعوب المسلمين تقدمت به دولة التركي التي تتقدم[1]".

إن المتأمل في حقيقة التناص القائم، بين التركيب الشعري في هذه النماذج من شعر محمد بن إبراهيم، وهذه الأخبار التاريخية- والسياسية، سيستشعر، صعوبة كبرى في معرفة الأسباب التي كانت تدفع جهاز القراءة عند أحمد اليبوري، إلى تحكيمها انطلاقا من الداخل نصي، وذلك ، قياسا إلى غريزته النقدية، في التمييز بين اللغة الشعرية، واللغة اليومية التي تعكس دلالة تمثيلية.

فهذا الذي يسعى إلى" تدشين قراءة جديدة لشعر محمد بن إبراهيم، من خلال إزاحة اللثام عن غير المعبر عنه في وحداته المعجمية والتركيبية والبلاغية".[2] وهذا الذي يقتنع اقتناعا راسخا جدا، من أن ما يهم المتلقي في قراءاته، هو" أن تنطلق أساسا من النص تفكيكا وإعادة تركيب، ولا تتجاوز ذلك إلا لماما".[3] بل هذا الذي يؤمن- في معرض قراءته لبعض قصائد ديوان الفروسية".. بأن شاعرنا (أي المجاطي) يعيش لحظة الإبداع، في تواشج عميق مع تيار الديمومة، في متعة ونشوة روحية، تجعلانه أكثر بعدا عن مجتمع لا يهتم إلا بالمصالح المادية الذاتية الآنية، وأكثر انغراسا وتجانسا مع المثل الشعرية التي تستحوذ على كل كيان، خارج قوانين المنطق والزمن والمكان، مرددا:

أُبحر في الهنيهة الفقيرة

أصالح الكائن

---

[1] – نفسه- 144-145.

[2] – في شعرية" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، ص9.

[3] – دينامية النص الروائي، أحمد اليبوري، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الطبعة الأولى 1993م-ص:5.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والممكن

والمحالْ

أخرج من دائرة الرفض

ومن دائرة

السؤال

(...) أليس هو الذي يدعو في قصيدته (كبوة الريح)ببلاغته المعهودة الى قراءة مغايرة لشعره".[1]

قلنا: نصادفه لا يكلف نفسه، في اللحظة التي جرد فيها من ذاته المتخيلة، صورة لنفسه المتلقية؛ وصورة أخرى لمحمد بن إبراهيم المبدع المتخيل، عناء الفصل بين وضعيتين:

أ- وضعية محمد بن إبراهيم، الذي يعايش لحظة الحرب العالمية الثانية بكل انكساراتها ومآسيها.. واحتلال بولونيا من طرف ألمانيا سنة 1939. وما استتبع ذلك من هجوم للجيوش الألمانية و الايطالية على جزيرة كرسيكا 1942. ثم انتصار قوات الحلفاء على جيوش المحور...

ب- وبين وضعية محمد بن إبراهيم الشاعر، الذي يتخيل ويتصور هذه الوقائع والأحداث الجسام، بنحو من التخيل والتصور، فيتفاعل معها بالشكل الذي يؤدي إلى إعادة إنتاجها في سياق شعري، لا يمكن أن يتناص تناصا سلبيا مع معطيات خارجية، جهدت في رسم" صورة مظلمة " اتصف بها العالم آنذاك.

[1] – في الشعر المغربي المعاصر، أحمد اليبوري، دار توبقال للنشر – البيضاء، ط/1- 2003، ص: 16-17.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن الذي يفترض رصده في قراءة أحمد اليبوري، للمعاني الشعرية الواردة في قصيدة(النشيد الوطني الحربي)، وقصيدة (كما قلتم)، وقصيدة (عظم الله في انتصارك أجرا)، هو أنها لم تبتعد عن اعتبار اليبوري نفسه، قارئا يتمتع بوجوده الواقعي. صحيح أنه يمتلك قدرة أدبية على التفسير بنفس المستوى التخيلي للغة التي كتبت بها نصوص محمد بن إبراهيم المستدل بها هنا؛ لكنه في الآن ذاته، لا يستطيع أن يسوغ إعجابه الجمالي بشروط الإثارة الكامنة فيها ، إلا بما يتفاعل حرفيا مع المعايير المشكلة للمرجعية الشعرية الواقعية.

وبمعنى ما، نرى أن التفاعل النصي الذي شيده محمد بن إبراهيم، بين مكونات الكتابة الشعرية وذخيرتها التاريخية-السياسية، لا يجب أن يحملنا على اختزل المحاكاة إلى دلالات يومية ومبتذلة يمكن أن ننقلها عبر رسائل عادية ولغة متداولة[1]. وهذا بالمجمل ما يكون- على سبيل التمثيل القرائي- مجموع الصور الجزئية التي يحفل بها تلقي اليبوري لقصيدة (صيحة النصر)." إننا في هذه الأبيات- يقول اليبوري- بصدد سرود صغيرة متشابكة تعكس مآسي الحرب العالمية الثانية، كما عاشتها شعوب أوروبا، وكما انعكست في مخيلة شاعر الحمراء"[2].

ذلك يجعلنا نقول إن الذي ينتدب نفسه لتحقيق معاني هذه القصائد،، لابد أن يكون رد فعله مبني على أفق توقع – معد سلفا-، يتناص مع خلفية مرجعية، تعتمد " قاعدة جمع المعلومات والأخبار التاريخية حول الحرب العالمية الثانية، والحروب الاستعمارية "[3]؛ وهو ما سيحقق تناص المتخيل الشعري، الكامن في قصائد محمد بن إبراهيم، بما

[1] – من الخيال إلى ما بعد الخيال، إدريس بلمليح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن.ط1-2004.ص 84.

[2] – في شعرية" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، ص141-143.

[3] – في شعرية" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، ص8-142.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يناظره من ذخيرة تاريخية، لكنها متعالية مستوحاة من شرارة اندلاع الحرب العالمية الثانية، وما واكبها من تقلبات سياسية وعسكرية. إن هذه المعطيات، ستدفع القارئ إلى الاعتقاد، بأن سلطة الوقائع التاريخية، هي التي تتحكم في المجال الدلالي لقصائد محمد بن إبراهيم، بل إنه سيوقعها موقعها، وينزلها – تداخليا و تقاطعيا– منزلتها. يقول اليبوري في هذا الشأن: " وتكمن أهمية هذه القصائد، ليس في قيمتها الإبداعية، فحسب، بل باعتبارها وثيقة تاريخية سجلت موقف المغرب الذي تمكن في هذه الفترة التاريخية الدقيقة من التمييز بين فرنسا كدولة استعمارية، وفرنسا كضحية للنازية التي تحمل إيديولوجيتها بذور الاستغلال والعنصرية، مهددة العالم كله بالدمار".[1]

وفي هذا الاجتهاد القرائي كبير تحقيق، نقرب إيضاحه بأن تأويل أحمد اليبوري وقع في " وهم تنازع السلط" ، بين أفق اللغة اليومية، التي تفصل وتدقق في كل أحداث الحرب العالمية الثانية ونتائجها المدمرة على المشاركين وغير المشاركين فيها. وأفق اللغة الشعرية التي، وإن كانت تمتص وتنقل وتحاكي، كثيرا مما هو ثابت في واقعة احتلال بولونيا من طرف ألمانيا سنة 1939. وهجوم الجيوش الألمانية والايطالية، وقوامها مائة ألف جندي، على جزيرة كرسيكا 1942 وحصارها لها[2]. ثم انتصار قوات الحلفاء على جيوش المحور مدعومين بفيالق إفريقية...[3]، فإنها تتجه نحو إعادة تشكيلها وتوظيفها بصورة ابتداعية هي أوسع بكثير من هذا المعنى الحسي الذي ذكره القارئ أحمد اليبوري.

---

[1] – في شعرية" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، ص142.

[2] – نفسه، 1143-145.

[3] – نفسه، 147.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن قراءة اليبوري قامت، هنا، على أساس حمل المعطيات التصورية التخييلية في قصائد الشاعر ابن إبراهيم على وجودها التاريخي والاجتماعي والسياسي؛ نقصد: تم دمج البنيات النصية الشعرية– اللغوية والتركيبة والدلالية في قصيدة (النشيد الوطني الحربي)، وقصيدة (كما قلتم)، وقصيدة (عظم الله في انتصارك أجرا)، وقصيدة (صيحة النصر)، بمجموع الحقائق التاريخية وجزئيات الوقائع التي عايشها الشاعر محمد بن إبراهيم. ومن ثم كان أن رسخت قراءة اليبوري مبدأ تناص الزمن الشعري مع زمن الوثائق التاريخية .

إن أحمد اليبوري عندما يقرأ قول محمد بن إبراهيم (من قصيدة صيحة النصر):

– كيف الأفارقة القساورة الألى يعلو لهم يوم اللقاء زئير

– صدق الذي بالقوم قد ناداهمُ فالقوم هم، والغير قوم بور

– عادوا لنا مرفوعة أعلام نص رهم وذيل فخارهم مجرور

بأنه نظم هذه الأبيات في منتصف الأربعينيات وهي تمثل مرحلة انتصار قوات الحلفاء على جيوش المحور مدعومين بفيالق إفريقية في مقدمتها(القوم) المغاربة الذين أبلوا في هذه المعارك البلاء الحسن، فنالوا التنويه الجميل من الدول الغربية.[1]..قلنا: إننا نفترض مستخلصا عاما للتأويل اليبوري، يؤمن إيمانا شديدا، من أن الصناعة الشعرية" الفرع"، لا تنقاس تخيليا إلا ردا على أصولها التاريخية والسياسية والجغرافية. إنها قراءة تكشف أن التناص الذي أقامه اليبوري، بين المنجز الشعري لمحمد بن إبراهيم والأحداث الواقعية التي عايشها هو نفسه، تستبطن تغييبا ضمنيا للذات المتخيلة لمحمد بن إبراهيم. في حين تركز على استدعاء ذاته الواقعية، التي تتعرف إلى كثير من الحقائق عن حقبة

[1] – في شعرية" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، ص 147.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N16 العدد السادس عشر : ص.ص 243-260
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المغرب بعد الحماية الفرنسية، وما رافق ذلك من تقلبات داخلية وخارجية (الحروب والمعارك التي خاضتها الجيوش آنذاك)[1]. وهو بهذه الرؤية، إنما يجعل من ذات محمد بن ابراهيم مجرد آلة تختزن كل ما يحدث لها في الحياة اليومية، لتقوم بعد ذلك، هي نفسها، بتنضيد تلك الأحداث، ومحاكاة تلك الوقائع وعكسها في تراكيب شعرية، لا يمكن إلا أن تكون– كما أشرنا سلفا– فرعا يتآخذ مع أصله المرجعي[2]؛ أي يتداخل مع ذخيرة أخبار تاريخية وسياسية شملت العقود الأولى من القرن العشرين، تمثل نصا متعاليا؛ حيث الشاهد الأصل في دلالة الكتابة الشعرية لدى محمد بن إبراهيم ، قائم في الماضي المتحقق.

إن الكلام الشعري لا يمكن أن يتناص مع" نسقه الذاتي والخاص"، من حيث إن وحداته المعجمية والتركيبية والدلالية، وحدات تخييلية، وإنما لا بد أن تتناص مع غيرها قياسا إلى اللغة في أبعادها المادية؛ أي قياسا إلى الذخيرة المتوارثة، في الأخبار التي ثبتها الإخباريون ورواها أهل الإعلام، عن الحرب العالمية الثانية وما رافقتها من أهوال. وهذا ما يدفعنا على الاعتقاد بأن أحمد اليبوري، وإن كان يمثل قارئا ضمنيا في نص محمد بن إبراهيم، فإنه لم يرغب في التمييز، بين وضعية الشاعر محمد بن ابراهيم ، الذي سمع أو شاهد أو عايش أحداثا واقعية جساما، وبين وضعية الشاعر نفسه، الذي يتصور واقعه المعيش، بنحو من التصور ويفترضه بنحو من الافتراض؛ فيلتمس له طريق " الابتداع" لبناء

[1] – نفسه، ص 11-12.

[2]– انظر: القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، أحمد طايعي، ص: 135 وما بعدها.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 العدد السادس عشر : ص.ص ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الموضوع الجمالي في قصيدة(النشيد الوطني الحربي)، وقصيدة (كما قلتم)، وقصيدة (عظم الله في انتصارك أجرا)، وقصيدة (صيحة النصر).

5. النتائج والتوصيات

إن نقض بعض أوهام التناص الكلي والمطلق، بين المعطيات الخارج نصية، وسياق البنى اللغوية والتركيبية في بعض أشعار محمد بن إبراهيم ، لا يتم – في تصورنا – إلا إذا بانت قابلية إدراك أحمد اليبوري لصورة " الرؤية والمشاهدة " في الواقع، على خلاف ما هي عليه في الصناعة الشعرية. لأجل ذلك فتشكيل لا مقول النص الشعري للشاعر محمد بن إبراهيم، لا يجب أن ينظر إليه من قبل أحمد اليبوري– القارئ، على أساس أنه رد فعل مباشر على العالم الواقعي المعروض أمام ابن إبراهيم واستنساخ لوقائعه؛ ذلك أن الوحدات المعجمية والتركيبية التي انتقاها فشكلت نصه، تمثل تأويلا متخيلا،" تستطيع أن تصهر المتخيل والواقعي داخل بنية عليا"[1]؛ وبالتالي، تدمج مجموع القيم والمعايير الثقافية السائدة في مجتمع الشاعر، في سياق افتراضات تخييلية جديدة. ولذا، فإن مشاركة اليبوري نصوص محمد بن إبراهيم خلفيتها المرجعية، لا يمكن أن تتحقق عبر اجترار وضعية سياقية محددة بشكل قبلي، بل من خلال التفاعل المنفتح، مع زمن الأحداث الشعرية بكل مكوناته اللغوية والتركيبية والدلالية[2].

---

[1]– الرواية والتاريخ، عبد السلام أقلمون، ص:156.

[2] – L'acte de lecture: Théorie de l'effet Esthétique. W. G. Iser – 1985-p347.

وانظر كذلك التخييلي والخيالي من منظور الأنطربولوجية الأدبية– فولفغانج إيزر، ترجمة حميد لحميداني والجيلالي الكدية، ط النجاح الجديدة، الدار البضاء، ط. 1– 1998.ص 9-10.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/11/2023
260-243 ص.ص : العدد السادس عشر ISSN:2958-8537 Issue: N16
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1- أقلمون، عبد السلام، الرواية والتاريخ، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010.
2- بلمليح، إدريس، المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط.1-1995.
3- بلمليح، إدريس، من الخيال إلى ما بعد الخيال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن. ط1-2004.
4- الخطيب، إبراهيم، القارئ المفترض، مجلة آفاق- المغرب، عدد6، 1987.
5- أقلمون، عبد السلام، الرواية والتاريخ، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010.
6- طايعي، أحمد، الشعر العربي مجاري التلقي ومستقرات التأويل، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2022.
7- طايعي، أحمد، القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، منشورات زاوية الرباط-ط1-2007.
8- ابن إبراهيم، محمد، روض الزيتون- ديوان شاعر الحمراء، ضبط وتنسيق أحمد شوقي بنبين، ط1-سنة 2000 – و ط2 ومنشورات الخزانة الحسنية بالرباط. سنة 2002.
9- اليبوري، أحمد، دينامية النص الروائي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الطبعة الأولى 1993.
10- اليبوري، أحمد، تحولات النقد الأدبي المعاصر بالمغرب تنسيق سعيد يقطين، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2009.
11- اليبوري، أحمد، في الشعر المغربي المعاصر، أحمد اليبوري، دار توبقال للنشر- البيضاء، ط/1- 2003.
12- اليبوري، أحمد، في شعرية ديوان" روض الزيتون" لشاعر الحمراء، دار الثقافة البيضاء، ط.1-2021.
13- إيزر، وولف، التخييلي والخيالي من منظور الأنطربولوجية الأدبية، ترجمة حميد لحميداني والجيلالي الكدية، ط النجاح الجديدة، الدار البضاء، ط. 1- 1998.
14- Iser, W). 1985. (L'acte de lecture Théorie de l'effet esthétique. Bruxelles : Ed -Mardaga.
15- Palimpsestes, La Littérature au second degré .Gérard Genette ; Seuil . paris, 1982.
16- Jauss, H. R.) 1978. (Pour une Esthétique de la réception. Paris. Ed- Gallimard.
17- Jauss, H. R) 1988. (Pour une herméneutique littéraire, Paris .Ed: Gallimard.
18- Zima, P.) 1985(.Manuel de sociocritique. édit. Picard.